مقدمة تمهيدية حول
وحدة العلوم الاجتماعية

ان أهم ما نحب أن نلفت اليه النظر فى بداية هذا الكتاب الذى نحاول أن نلقى خلاله الضوء على ما بين علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية الأخرى من صلات قوية وعميقة ، نقول أن أهم ما نحب أن نلفت اليه النظر .. ما يأتى :

١ ــ أن العلوم الاجتماعية التى نعنيها فى هذا المجال اضافة الى علم الاجتماع .. هى علوم التاريخ والاقتصاد والنفس والأنثربولوجيا والسياسة والقانون .

٢ ــ أن هناك تفريعات عديدة سواء بالنسبة لعلم الاجتماع أو لغيره من العلوم الاجتماعية الأخرى ، ومن تلك التفريعات ما يبحث فى مجالات بعيدة الصلة أو وثيقة الصلة سواء بالنسبة لعلم الاجتماع أو لغيره من العلوم الاجتماعية الأخرى ، ومن الأمثلة التى سنتناولها خلال هذا الكتاب والتى تعتبر عوامل مجمعة ولا أقول موحدة بين علم الاجتماع وغيره من العلوم الاجتماعية أو الانسانية الأخرى ، من هذه الأمثلة .. علم الاجتماع الاقتصادى والتاريخى والنفسى والسياسى والقانونى والثقافى ، ومنها أيضا فى مجال العلوم الاجتماعية الأخرى ، علم النفس الاجتماعى ، والأنثربولوجيا الاجتماعية والانحراف بمختلف مفاهيمه .

وعلى الجانب الآخر توجد أمثلة عديدة لتفريعات ترتبط بالدرجة الأولى بالعلم الاجتماعى الذى تفرعت عنه ، كعلم الاجتماع البدوى أو الريفى أو الحضرى ... الخ ، أو الفروع التى نشأت عن علم الاقتصاد .. كالاقتصاد الكلى أو الجزئى أو الاقتصاد المؤسسى أو الادارة الاقتصادية ... الخ ، أو كتلك التى نشأت عن علم القانون .. كعلم الاجرام أو الجريمة ... وغيرها .

٣ ــ هناك من العلوم من يستثمر نتائج كل تلك العلوم مجتمعة كالتنمية الاجتماعية والخدمة الاجتماعية ، ولو أن هناك من يرى أن تلك العلوم ما هى الا جوانبا أو فروعا تطبيقية لمختلف العلوم الاجتماعية لاسيما علم الاجتماع •

٤ ــ أن الذى يعنينا هنا مباشرة هو علم الاجتماع من خلال علاقته بغيره من العلوم الاجتماعية وما قد ينشأ عنها وعنه من تفريعات تشكل الأرضية المشتركة لوحدة الموضوع والمنهج ، باعتبار أن تلك العلوم جميعا تتخذ من الانسان موضوعا أساسيا لدراستها واهتماماتها وان اختلفت فيما بينها زوايا الرؤية والاهتمام •

٥ ــ يسود الفكر الاجتماعى اتجاهان متميزان •• أولهما ، ما يعرف بالاتجاه الاندماجى الذى يدعو الى اعتبار مختلف العلوم الاجتماعية مجرد أجزاء متساندة فى كل واحد ، وثانيهما ما يعرف بالاتجاه التمايزى •• الذى يرى أن كلا من العلوم الاجتماعية له أسلوبه المميز وهويته المحددة التى تختلف وتتباين ، ويؤكد أصحاب ذلك الاتجاه على أنه من الصحيح أن مجال الاهتمام قد يكون مشتركا ولكنه أبدا لن يكون واحدا خصوصا فى ظل عصر سمته التخصص الدقيق ، وبعد المشوار الطويل الذى قطعه كل علم من العلوم الاجتماعية فى سبيل تأكيد ذاته وهويته بل ومنهجه فى البحث أيضـــا •

٦ ــ ولكن الرأى الغالب عندى ــ فيما يتعلق بعلم الاجتماع على الأقل ــ هو ألا يكون منفتحا على غيره من العلوم الاجتماعية بحيث تتميع شخصيته وتضيع ملامحه ، وألا يكون ــ أيضا ــ منغلقا على نفسه فيصم أذنيه ويكف بصره عن تلك الصلات القوية والعميقة التى تربطه بغيره من تلك العلوم سواء من حيث موضوع الدراسة أو منهج البحث فيها •

مرة أخرى •• يجب أن يأخذ علم الاجتماع من تلك العلوم ويعطيها ، ويجب أن تكون العلاقة بين علم الاجتماع وبين غيره من العلوم الاجتماعية

الأخرى منطلقة من منطق الفهم لا من منطق التمايز ، لأن منطق الفهم لطبيعة ودور وامكانية كل علم من العلوم الاجتماعية سوف تنشأ عنه فى النهاية أنماط متعددة من التعاون سواء على مستوى النظرية أو المنهج خصوصا وآفة العلوم الاجتماعية فى التخلف عن مسيرة العلوم الطبيعية تكاد أن تكون واحدة •

أما منطق التمايز ، فنتيجته تحيز يعتبر أن هذا العلم أو ذلك هو أكثرها شمولية وقربا من المجتمع وبالتالى أكثرها قدرة على الغوص فى أعماق ذلك المجتمع وفهمه •

٧ — أن التعاون ما بين علم الاجتماع وبين غيره من العلوم الاجتماعية أو الانسانية ، لايجب أن يتم بالضرورة وفقا لدعاوى الاندماج أو التمايز ، وانما يجب أن ينهض على أسس جديدة لعل من أهمها :

(أ) أن ينهض ذلك التعاون فى اطار خطة مشتركة لمواجهة ظواهر مجتمعية قد يكون توافر علم الاجتماع أو غيره على دراستها شيئا فوق طاقته وجهده ، بمعنى أن ينهض ذلك التعاون على أساس مواجهة مشكلات مجتمعية محددة ، خصوصا وأن كل المشكلات التى تدخل فى نطاق جميع العلوم الانسانية بغير استثناء مهما تتعدد أسبابها أو تختلف ، الا أن تلك المشكلات تتداخل فى تساند يستلزم بالضرورة وحدة فكرية حتى يمكن مواجهتها والتغلب عليها •

وأمثلة تلك المشكلات المجتمعية كثيرة خصوصا فى البلدان النامية •• ولو أخذنا على سبيل المثال نماذجا لتلك المشكلات •• لكانت مشكلات •• التخلف ، البطالة ، الانحراف ، البيروقراطية ، الهجرة ••• الخ •• خير مثـــال فى هذا الشـــأن •

(ب) فى الامكان أن ينهض ذلك التعاون بين مختلف العلوم الاجتماعية فى سبيل ايجاد صيغة للبحث والدراسة تشكل أساسا لوحدة منهجية تضعها

على الطريق الصحيح مستثمرة فى ذلك التقدم الذى حققته بعض فروع علوم النفس والاقتصاد والسكان والجريمة •

(جـ) فى الامكان كذلك أن يوسع كل علم من العلوم الاجتماعية من دائرة اهتمامه ليقترب أكثر من دائرة اهتمام غيره من العلوم الانسانية ، وليس معنى هذا أن يدرس كل واحد منها ما يدرسه الآخر ، وانما يحاول أن يستفيد من زوايا الرؤية والاهتمام التى ينظر منها كل علم الى الظاهرة المبحوثة ، حتى تكون معالجته على الأقل معالجة شمولية أو شبه شمولية لا تهمل وجهات نظر الآخرين •

(د) هذا ويمكن أيضا الاهتمام بأسلوب « البحث عن طريق الفريق » وبحيث يتوافر عدد من الباحثين من مختلف العلوم الاجتماعية على دراسة مشكلة مجتمعية متعددة الجوانب ، كمشاكل الانحراف — الفردى والمجتمعى — والبيروقراطية وظواهر الهجرة والتخلف ••• الخ •

٨ — أننا سبق أن عالجنا الكثير من قضايا التساند بين مختلف العلوم الاجتماعية خلال مؤلفنا عن « منهجية العلوم الاجتماعية » ومؤلفنا عن « علم الاجتماع — المفهوم والموضوع والمنهج » ، لذلك فسوف نكتفى هنا بهذه المقدمة ويمكن للقارىء العزيز أن يعود الى أى من المؤلفين السابقين ان شاء افاضة حيث سنقتصر خلال صفحات هذا الكتاب على توضيح هوية كل علم من العلوم الاجتماعية بهدف الكشف عن الأرضية المشتركة التى تربط بينه وبين علم الاجتماع •

* * *